التكنولوجيا الحديثة وأزمة العلاقات الاجتماعية

د. إيكوفان شفيق
جامعة مولود معمري تيزي وزو(الجزائر)

تاريخ الاستلام : 2018-12-01 ؛ تاريخ المراجعة : 2019-09-16 ؛ تاريخ القبول : 2019-09-30

الملخص:

تسلط هذه الدراسة الضوء على واقع العلاقات الاجتماعية في ظلّ اكتساح التكنولوجيا الحديثة لمختلف مرافق الحياة، وما أسفرت عنه من تغيرات كبيرة في أبسط تفاصيل العلاقات الاجتماعية وحتى الأسرية. حيث سنقوم بعرض مواقف كل من معارضي هذه التكنولوجيا وما خلفته من أثار هزّت العلاقات الاجتماعية، إضافة إلى رهانات النسيج الاجتماعي في المستقبل القريب. إضافة إلى موقف مؤيدي هذه التكنولوجيا وأثرها على المجتمع، والحجج التي استندوا عليها في تبريرهم هذا.

الكلمات المفتاحية : التكنولوجيا الحديثة، أزمة العلاقات الاجتماعية، التغير الاجتماعي

Abstract:

This study highlights what social relations have become after the spread of modern technology in various aspects of life, And the great changes that have taken place in all details of social and family relations.

In this study we will present the views of the opponents of this technology, Because of the impact of technology on the impact of social relations, and the collapse of social structure in the near future.

I will also highlight the opinion of the proponents of this technology and its impact on society, and the arguments on which they have based their justification.

key words : Modern technology, crisis of social relations, social change

مقدمة :

أثارت الرسومات المتحركة ل "ستيف كوتس " " Steve cutts" منذ عدة سنوات حول مستقبل العلاقات الاجتماعية في ظل التكنولوجيا الحديثة، وما استشرفه من مساوئ المدينة الحديثة التي ترجمها في مقاطع فيديو لرسومات متحركة تخوفا كبيرا لمستقبل ضبابي في العلاقات الاجتماعية. ففي فيلمه الشهير المعنون (MAN) على سبيل المثال، يرينا خلال ثلاث دقائق وصفا دقيقا عن تغير العالم في كرتنا الأرضية منذ وُجِدَ الانسان عليها وكيف عاث فيها خراباً وصولاً إلى اليوم الذي يأتي فيه غرباء من الفضاء فلا يجدون في الأرض سوى الرّكام والخراب.

إن ما تم تصويره في خيالات " كوتس " سرعان ما تحول إلى مأساة اجتماعية حقيقية تقطّعت فيها أواصل العلاقات الاجتماعية بشكل مخيف. فالتكنولوجيا غزت البيوت والشوارع وأصبحت تفرض منطقا جديدا في العلاقات لا تشبه نظيرتها القديمة على الإطلاق.

من الواضح حجم التغير الحاصل على الأطر الاجتماعية، فالمجال الاجتماعي ليس بمنأى عن المجالات الأخرى التي تطورت بفضل التكنولوجيا كالصناعة والتجارة والاقتصاد والتعليم، ما يحتم تأثر النظم الاجتماعية بهذه الموجة التكنولوجية. غير أن ما يثير الدهشة هو السرعة في هذا التحول، فالبشرية لم تعرف طفرات اجتماعية مماثلة من حيث السرعة والتكيّف كما عرفته مع تكنولوجيا المعلومات الجديدة. فعلى مرّ العصور وعلى مختلف الحضارات التي عاشتها البشرية، كان تقبّل هذه الأخيرة من طرف المجتمعات يتم على مراحل، وكان التغيّر يقتضي سلسلة من التحديثات البسيطة

التي تحترم المبادئ الوظيفية في المجتمع، فكانت في معظم الأحيان لا تلغي العناصر الفاعلة في المجتمع، وتمزج القيم الأساسية للمجتمع مع العناصر الجديدة الوافدة في سيمفونية متناغمة بدل استبدالها وإلغائها نهائيا. هذا ما لا يحدث مع الموجة الأخيرة للتكنولوجيا الحديثة التي بدت في منظور معارضيها كموجة التسونامي التي تظهر صدفة ولا تمنح الوقت للتفاوض منذرة بتغييرات جذرية قد لاتخطر على البال. في حين يراها مؤيدوها أنها مرحلة عادية ضمن التغيرات الطبيعية للأنظمة الاجتماعية التي عرفتها البشرية منذ البدايات القبلية لها. **(رمزي 2015)**

لم يكن أحد من العلماء أو المختصين في مجال تكنولوجيات الإعلام والاتصال، يدرك حجم التغيير الذي ستتركه هذه الأخيرة في بداية ظهورها، وفي المراحل الأولى من تطورها التقني، بعدما كانوا يعتقدون أن ما خلّفه التلفزيون و الراديو على الجمهور وعلى باقي مجالات الحياة، لا تضاهيه أية وسيلة أخرى، بسبب درجة التأثير الذي كانت تمارسها هذه الوسائل، وطبيعة التلقي التي كان يبديها الجمهور.

غير أن هذا المفهوم سرعان ما بدأ يتبدّد مع كل خطوة جديدة تخطوها التكنولوجيا في طورها التقني والفني على حدّ سواء إلى أن أصبح الراديو والتلفزيون يوصفان من وسائل الإعلام والاتصال الكلاسيكية أو التقليدية، التي تتطور بفعل القيمة المضافة من طرف التكنولوجيا الحديثة. إضافة إلى اكتسابها لشريحة واسعة من الجمهور الذي يتسم بخصائص مغايرة لخصائص جمهور الراديو والتلفزيون، من ناحية التعاطي مع الرسائل الإعلامية، وكذا نوعية التأثير الذي تتركه هذه المضامين. هذا ما جعل التكنولوجيا عموما وشبكة الانترنيت بالخصوص وسيلة اتصالية فريدة في تعاطيها مع الجمهور، الذي اكتسى هو الأخر خصائص فريدة أثّرت حتى على النظام التربوي في المجتمع.

أصبحت تكنولوجيا المعلومات من بين الوسائل المعتمدة لتعويض اخفاقاتنا في مجال التربية، أو على الأقل بعض النقائص التي تكتنفها، بسبب الحاجة المعرفية المتزايدة للطفل. ولا يخفى على أحد كيف فشلت الوسائل التقليدية اليوم في تحقيق حدّ أدنى من النجاح في تربية الطفولة، مقارنة بالتأثيرات التي استطاعت وسائل الاعلام والاتصال تحقيقها في العملية التربوية، إلى درجة اعتماد الكثير من الآباء على وسائل الإعلام في تعليم وتثقيف أبنائهم، وأحيانا يعتمدون عليها بشكل مطلق في تولي عملية التعليم، والترفيه، رغم ما قد تحمله من مضاعفات جانبية. **(Braid 2016)**

فالتربية في عصر التكنولوجيا الحديثة، تختلف عن التربية في زمن ما قبل انتشار هذه الوسائل الحديثة، لما تحمله من خصائص مغايرة، وتأثيرات قوية ومباشرة. فقد أصبحت العائلة تنظر إلى هذه الوسائل من منظور تربوي، قادرة على مساعدة الأولياء في واجبهم التربوي الذي يقومون به، أو على الأقل الاستعانة بها في تنوير المساعي التربوية للأسرة.

فالمعلومات التي تقدمها وسائل الإعلام والاتصال تمثل بالنسبة للأولياء قيمة مضافة لإنتاج المعرفة، للطفل والعامل الحاسم في الحياة الاجتماعية، والتوجه الذي قد يسلكه الطفل في حياته المستقبلية.

هذا الامتزاج السريع بين مؤسسات التنشئة الاجتماعية وتكنولوجيا الإعلام والاتصال في المسائل التربوية، واعتبارها شريكا في هذه العملية إلى حدّ كبير، قرّب الطفل أكثر من هذه الوسائل، وجعله ينظر إليها كمصدر تربوي، ومرجعية فكرية ومعلوماتية. كما أدى ذلك إلى ظهور علاقات اجتماعية جديدة، وقيم سلوكية حديثة، واتجاهات وعادات لم تكن موجودة. قد تتفق، وقد تتعارض مع الإطار الثقافي والقيمي لمجتمع.

وقد احتدم الخلاف بين مؤيدي هذا التغيير الذي طرأ على العلاقات الاجتماعية نتيجة انتشار التكنولوجيا وبين المعارضين والمتخوفين من مصير البشرية والتركيبات الاجتماعية :

أ. التكنولوجيا والإفلاس الاجتماعي :

تسببت التكنولوجيا الحديثة بهزات اجتماعية كبيرة باتت تهدد النسيج الأساسي لها في ظلّ فشل اجتماعي لمؤسسات التنشئة في الحفاظ على مكانتها أمام هذه المصادرة التي شنّتها التكنولوجيا على أدوراها الاجتماعية. فالواقع الاجتماعي اليوم يسير نحو تفكك محتوم، ضاعت فيه العلاقات الاجتماعية وتلاشت القيم التربوية بشكل مخيف. فلا الأسرة أصبحت

سيّدة في تربية الطفل بعدما وجد هذا الأخير مصادر تربوية بديلة عبر التكنولوجيات الحديثة، ولا أصبحت المدرسة موجهة للشباب الذين يبحرون في كل دقيقة في الفضاء الأزرق الذي لا نهاية لآفاقه.

لقد تلاشت معايير الضبط الاجتماعي وحلّت محلها الأفكار الدخيلة التي حملتها التكنولوجيا وشبكة الانترنيت وسط عجز وصمت اجتماعي رهيب، وكأنّه تسليم سلمي لمهام وأدوار اجتماعية من مؤسساتها الرسمية إلى نظيرتها الافتراضية. إنه مستقبل ضبابي ينتظر العلاقات الانسانية التي طغت عليها الماديات. وجعلت من التكنولوجيا والانترنيت مؤسسة تربوية، تنافس المؤسسات الأخرى، لما لها من خصائص مميزة. فهي تتطور كل يوم حاملة معها مؤثرات تربوية جديدة على الشباب، لا تقوى الأسرة ولا حتى مؤسسات التنشئة الاجتماعية الأخرى منافستها فيها، ما أفضى إلى أثار متعددة على أفراد المجتمع. ومن بين هذه الآثار :

أ. إتاحة الوصول السريع لكل ما هو معروض ومتاح، بسبب السرعة والانفتاح، إلا أن ذلك لا يراع من الجانب التربوي المرحلة العمرية للطفل أو مستوى وعي الشباب. كما أن السرعة والتكرار، يرسخان المفاهيم المنقولة عبر هذه التكنولوجيات. **(محمودي 2017)**

فقبل انتشار الوسائل الحديثة كان الأولياء أكثر قدرة على التحكم في التغذية العقلية للطفل، فيتحكمان فيما يسمع وفيما يقرأ وفي الأماكن التي يرتادها وفي تكوين الصداقات. لكن الوسائل الحديثة الآن بما توفره من سرعة وانفتاح تقلّص من سيطرة الوالدين، وتبعدهما من التأثير في العمل التربوي.

ب. الإخلال بتقديم الأولويات التربوية ومن ثمة تسهل للوسيلة الوصول المبكر لمفاهيم اجتماعية قبل وقتها، عبر ما يعرض من ألعاب أو أفلام أو إعلانات متلاحقة، كمفهوم العلاقة بين الرجل والمرأة التي قد يشاهدها طفل دون سن العاشرة كما هو عليه في الكثير من أفلام الأطفال، التي تحوي في مضمونها وإسقاطاتها عوامل هدم وفساد. و وتذهب بعض المضامين إلى أبعد من ذلك، فهناك الأفلام والأغاني والبرامج التافهة والإعلانات الساقطة، التي تعمل على إثارة الشهوات وغرس الرذائل، مما له تأثير ضار على الشباب، وخصوصا على من هم دون سن الرشد.

ت. تقديم المواقف بصورة ممثلة مصحوبة بمؤثرات مرئية وصوتية، وهي ميزة لها آثار إيجابية كثيرة ونافعة، لكن مع ذلك لها آثار غير صحية في التربية، قد تضر بالنفس والعقل إذا ما تُركت مطلقة بلا ترشيد أو توجيه. إذ تؤدي إلى ملء خيال الطفل بها، وتثبيت تلك المشاهد في الذاكرة بصورة قوية وملحة.

والخطر هنا يكون في طبيعة تلك المواقف والمشاهد، التي يمكن أن تكون غير مناسبة للشباب الذي يشاهدها. إضافة إلى المواقف الفاسدة، أو المفزعة التي من شأنها أن تسبب الفزع للطفل أثناء النوم، أو تزرع فيه الخوف والقلق والاكتئاب. أو مواقف دافعة لارتكاب الجرائم والإضرار بالغير. على غرار ألعاب الفيديو، التي ينتشر فيها الصراع الدموي العنيف، وهي ألعاب لا تزرع الشجاعة والقوة في نفس الطفل والمراهق الذي يمارسها كما يعتقده البعض، بل تزرع فيه سلوكيات سلبية أخرى، على غرار العنف والقسوة والظلم، إضافة إلى القلق والخوف. **(صبري 2016)**

ث. التأثير في القدرة على التصور العقلي، إذ يعتاد العقل مشاهدة كل شيء مصورًا أمامه جامدًا على الصورة المشخصة التي تقدمها التكنولوجيا، فيضعف فيه حس الخيال والتصور النظري. بل قد يصل الحال إلى عجزه عن تصور مسألة حسابية سهلة، وحلها دون كتابتها على الورقة، بسبب ما قد تصيب تلك الوسائل العقل من سلبية في التلقي، إذ ينبغي أن تكون مزيجًا من التفاعل بين السماع والرؤية والنقاش والتفكير، وهو ما لا توفره هذه الأنواع من التكنولوجيا.

ج. إدمان التكنولوجيا بسبب الجذب الشديد الذي تمارسه هذه الأخيرة، فمنهم من يفقد روح المسؤولية، ومنهم من يفقد الإحساس بمن حوله فلا يشعر بندائه، ومنهم من يفقد الإحساس بالوقت حتى يضيع مسؤولياته وواجباته. بل قد تؤدي إلى الانتحار بسبب تصاميم بعض الألعاب على غرار لعبة " الحوت الأزرق " الذي أودى بحياة الكثير من الأطفال عبر العالم

ف. سيطرة الطابع المادي على تفكير الأبناء، فمطالبهم المادية لا تنتهي ولا يجد فيهم الآباء تلك الحالة من الرضا التي كانت لدى الآباء أنفسهم وهم في هذه المراحل العمرية. فالمتطلبات المادية مع كثرتها في أيديهم لا تسعدهم، بل عيونهم على ما ليس لديهم، فإذا أدركوه تطلعوا إلى غيره. فالرغبات تتزايد بشكل مستمر، ولا تقف عند وضع محدود.

ق. سيطرة الأبناء على الآباء على عكس ما ينبغي أن تكون عليه في الواقع التربوي فقد انتقلت السيطرة والتوجيه من الأولياء، نحو أبنائهم، نتيجة الإدمان على التكنولوجيا والإيمان الكامل بها وقد قام عالم النفس "إدوارد ليتن" " Edward Witten " بدراسة هذه الظاهرة على الآباء في أمريكا، وانتهى بنتيجة مفادها أننا نعيش في عصر يحكمه الأبناء. فبدلاً من أن يوجه الآباء أبناءهم، فإن الأبناء هم الذين يوجهون سلوك آبائهم، فهم الذين يختارون البيت، ويقررون الأولويات الاقتصادية للأسرة، وإذا دخلوا متجرًا مضى كل طفل إلى ما يعجبه. وما على الأب إلا أن يفتح حفظته ويدفع.

ب. تطور اجتماعي لواقع تكنولوجي جديد :

من المبالغة ما يثيره المتخوفون من التكنولوجيا الحديثة وأثرها على المجتمع، فهذا الأخير يعيش سيرورة طبيعية لتركيبة اجتماعية جديدة، وهي حتمية اجتماعية لابد منها وعرفتها البشرية منذ اجتماعاتها القبلية الاولى. كل ما في الأمر ان الموجة الاجتماعية الجديدة جاءت محمّلة بتقنيات وطفرات غير معهودة، واقتضت فترة زمنية أقصر مما غرته التغيرات الاجتماعية السابقة. فالعصر الصناعي حينما حلّ على البشرية حمل معه تحفظات وتخوفات كبيرة من طرف شرائح اجتماعية كبيرة قبل أن تستسلم للأمر الواقع، ليتحول ذلك فيما بعد إلى قناعة وإعجاب بهذا التطور.

والأجدر من إثارة المخاوف بشأن التكنولوجيا الحديثة هو الإستعداد لها ومواكبتها. فالمجتمع قد أخذ قراره بالانصهار فيها ولا أمل بالعودة بهذا الجيل للخلف، وكل تأخّر في تبني هذه التكنولوجيا هو زيادة للشرخ الحاصل بين المجتمع التقليدي ومجتمع المعلومات، وبين هذا الأخير ومجتمع المعرفة.

لقد جلب التطور التكنولوجي لوسائل الإعلام والاتصال أشكالا وأفكارا جديدة بحيث تؤكد الدراسات التي تم إجرائها أن الطفل في عصر المعلومات يحمل من الأفكار ما يماثل مرحلة من مراحل الإنجاز الفكري والعلمي أي ما يفوق معلومات فيلسوف إغريقي قديم. وهذا دليل على حجم الفائدة المعرفية ومستوى الذكاء الذي تمنحه التكنولوجيا للأفراد ما يجعلهم قادرين على التفوق على الكثير من الصعاب التي كانت تعدّ في وقت سابق عوائق حقيقية. **(Diames 2014)**

إن الافتراضية التي سادت العلاقات الاجتماعية هي التي سمحت بفسخ المسافات التي طالما شتّتت عائلات وأصدقاء، وضمنت صلة الرحم بأجود التقنيات الرقمية، فمن كان يعتقد أن الأفراد سيتمكنون على بعد مسافاتهم التي تفصلها قارات من التواصل بشكل غير معقول بفضل تقنية " التمثيل الافتراضي " التي تصور الشخص أمامك متحدثا ومتحركا كأنه شبح حقيقي. وقادر حتى على التحرك في أرجاء الغرفة أو الجلوس والوقوف وكأنه معك بالفعل.

أو من كان يعتقد أن أصدقاء الطفولة أو قدماء الجيران ممن تقطّعت الأواصل بينهم لسنوات طويلة نتيجة ظروف معينة، أصبحوا متاحين وقادرين على إيجاد قرنائهم بكل بساطة بفضل ما تقدمه مختلف شبكات التواصل الاجتماعي عبر الانترنيت، والتي ربطت العلاقات بشكل عجزت عنه جميع مؤسسات التنشئة الاجتماعية منذ عصور خلت.

إن مسألة القيم التي باتت شعارات لمعارضي التكنولوجيا الحديثة في المجتمع، ما هي سوى قواعد وضعية أجازها البشر في مراحل اجتماعية معينة، وهي كغيرها من القواعد تساير وضعا وظروفا زمنية قد تتغير بتغير هذه الأخيرة. وهذا ما حدث بالفعل، فما أتاحته التكنولوجيا الحديثة من أساليب تواصل وأنماط تفكير مغايرة بات لزاما معها تغيير ما كان يعتبر قيما اجتماعية، وتبني قيما جديدة مبنية على التفتح وتقدير الذات بدل التقوقع في قوالب قيمية أخّرت المجتماعات كثيرا عن بلوغ بوابة الحضارة.

أما بخصوص تراجع دور الأسرة في تربية الطفل فهذا أمر منطقي مادامت الأسرة بعيدة عن مواكبة التطور الحاصل الذي أبهر الطفل نفسه، ما يتوجب عليها تبني التكنولوجيا للقدرة على أداء دورها الجديد

فمن المعروف أن الطفل ينشأ وفق منظومة تربوية مشتركة بين ما تقدمه الأسرة وما يمليه المجتمع. وبالتالي فهذين المرجعين التربويين يحاولان السيطرة على الاتجاه السلوكي للطفل من خلال جملة التوجيهات التي يفرضها عليه. و بالمقابل يسير الطفل على ذلك المنوال ما بقي بعيدا عن تأثيرات منافية لما تمليه عليه الأسرة والمجتمع. وفي حال وقوع عكس ذلك فإن الطفل يدخل في حالة من المدّ والجزر بين متناقضات تحاول كل منها استقطابه نحوها: فالتكنولوجيا تسعى لغرس ثقافتها وانتشال الطفل من الاملاءات الكلاسيكية التي فرضها المجتمع والوصول به إلى ركب المجتمع الإلكتروني الذي لا تحول بينه وبين المعلومة حاجز. في حين تحاول الأسرة والمجتمع الإبقاء على الطفل متمسكا بالمقومات التربوية المغروسة فيه والمراد تنشئته عليها، في محاولة لتقويضه ضدّ ما تحمله الوسائل الاتصالية التكنولوجية من بذور التغيير الاجتماعي. فإن طغت عليه املاءات الثورة التكنولوجية وانبهر بما تحمله من محتويات تمكنت من إعادة بعثه بصورة مخالفة لما تلقاها من الأسرة والمجتمع فتبدأ بوادر التغيير الاجتماعي تظهر في الأفق. أما إذا تدخلت الأسرة والمجتمع بالكيفية فقد تتمكن من إبقائه بعيدا عن تأثيرات التكنولوجيا الحديثة. لكن المعركة ليست سهلة، فالطفل يعيش مرحلة عمرية تجعله يتأثر بسهولة بكل ما يصادفه أو يعرض عليه كما أن التكنولوجيا لا تبخل بشيء لإشباع رغبات الطفل، ما يحسم المسألة لصالحها، لهذا يتعين على مؤسسات التنشئة الاجتماعية تقبّل هذا الواقع ومواكبة الطفل تكنولوجيا بدل التعرض لقطيعة حقيقية بينها وبين الجيل الحالي.

ويعتقد الباحثون في علم الاجتماع أن نقطة الاصطدام بين المحتويات التكنولوجيا وثوابت المجتمع والتربية قد تتسع أو تضيق بالقدر الذي تؤخذ التناقضات بعين الاعتبار. فمسألة إنكار محاسن هذه التكنولوجيات أمر مجحف. فيما يرى بعض الباحثين النفسانيين أن الطفل الذي تزامن سنه مع تطور وانتشار التكنولوجيات يتعلق بصورة أكبر بمضامين هذه الأخيرة ولا يعير اهتماما كبيرا للعلاقات الكلاسيكية التي تقوم على العلاقات المباشرة وجها لوجه بين الأصدقاء، مقابل قبوله لمعايير العالم الجديد المبني على الأسس الإلكترونية و الاندماج فيه وهو ما يجعله يتعلق بالتكنولوجيات الجديدة أكثر من غيره.

وبالمقابل ينبهر الطفل بشكل كبير وبسرعة بالعروض المغرية للإنترنيت وأمام قدراتها التعلمية اللينة ينصهر بسهولة مع فنياتها، فيصبح متمرّسا لها بشكل محترف لتتكسر جميع الطابوهات أمام الطفل الذي يصبح مواطنا من الدرجة الأولى في هذا العالم الافتراضي.

والمتفحص لواقع مستخدمي التكنولوجيا خاصة من الجيل الجديد الذي يمثله الأطفال والشباب يلاحظ مدى تخليهم عن عالمهم الكلاسيكي وتوجههم نحو عروض الشبكة. فتم استبدال الجلسات المباشرة الحميمية بالدردشة عبر الإنترنيت، وأعلنت المكتبات الإلكترونية نهاية عصر الكتب والرفوف، وقام عصر البريد الإلكتروني على أنقاض الرسائل الورقية. وحتى السينما فرغت مدرجاتها بعدما امتلكت الإنترنيت السبق في عرض أحدث الأفلام والمنتجات السينمائية.

و تعاني الأسرة الغربية اليوم من مشكلة إدمان أطفالها على الشبكة لدرجة تفضيلهم لها عن حضن الأم و الجلسات الأسرية، إنه الفضاء المفضّل للأطفال والشباب الذين أصبحوا يقضون أزيد من ثلث وقتهم خارج المدرسة أمام التكنولوجيات المختلفة غير آبهين بتعليمات أوليائهم.

فالكثير من شباب اليوم يعتبرون أنفسهم مضطهدون ومسحوقي الشخصية نتيجة ما تنطوي عليه إملاءات الأسرة والمجتمع. وهذا ما أشار إليه " لاوسون" " Lawson "، الذي أكد أن سوء معاملة الطفل، مرتبط بارتفاع مستوى الاغتراب لديه. وتبنيه في المرحلة المتقدمة من عمره للعديد من السلوكيات المتباينة، ما قد يؤدي به إلى نوع من الصراع القيمي، بين ما يتلقاه من المجتمع وبين الثقافات الإغترابية.

و مثلما يكثر الطفل منذ المراحل الأولى في حياته من الجلوس أمام التلفاز لمشاهدة الرسوم المتحركة فهو يفعل ذلك أيضا مع الإنترنت من خلال التعود على استخدامها لأوقات طويلة. وظاهرة الإدمان نفسها لا تشكل دائما ظاهرة مرضية، فما هو في الواقع يفوق بكثير مما هو في شبكة الانترنيت، وليست كل الألعاب ولا كل مظاهر الانحراف التي يشكو منها الآباء موجودة في المبتكرات التكنولوجيا، فهناك الكثير من المبالغة في حجم التخوف الحاصل.

ومن هنا فقبل أن نتساءل عن علاقة الجيل الحالي بالتكنولوجيا وشبكة الانترنيت، نتساءل عن علاقتهم بالواقع أولا، غير أن البعض لا يميل إلى هذا الطرح لأن المعوقات التي يفرضها الواقع على التحرك الجانح لهذا الجيل لا توجد في التكنولوجيا الحديثة وشبكة الانترنيت.

ومن غير المعقول مناقشة مشكلة الإدمان من دون التعرض إلى أسبابه. والتعرض إلى الأسباب يتطلب استخلاصها مما يقدمه جيل اليوم أنفسهم حين نتوجه إليهم بالسؤال التالي : لماذا تدمن التكنولوجيا وشبكة الإنترنت ؟ وهو سؤال أفرز نتائج تحتاج إلى تدقيق ومتابعة، بحيث برزت دوافع نفسية أسرية لاستخدام هذا الجيل لشبكة الانترنيت، لم ينتبه لها حتى الأولياء من خلال إجاباتهم.

إن ربط إدمان التكنولوجيا وشبكة الانترنيت بالفراغ الاجتماعي أو الهروب من المشاكل الأسرية يمثل توجها جديدا لم يكن متوقعا غير أنه واقع حقيقي لدوافع الإدمان فالكثير من الشباب دفعوا إلى هذا الإدمان أو الاستخدام المفرط لشبكة الانترنيت قهرًا، لأن هذه الأخيرة تعوض نواقص كثيرة، يعاني منها من بينها :

1. الفراغ العاطفي؛ فالطفل كثيرا ما لا يجد الأبوين بجانبه ما دفعه لأن يعوضهما بشبكة الإنترنت والأجهزة الإلكترونية الحديثة، في حين قد يعتقد الأولياء أن الطفل مستمتع وراض بوضعه الجديد أمام هذه التكنولوجيات.
2. المشاكل الأسرية التي قد تحدث في البيت لا يملك الطفل إزاءها إلا الانزواء في عالم التكنولوجيا، بل وقد يجد فيها أصدقاء افتراضيين يفضفض لهم مشاكله، ويرتبط بهم بشكل كبير بسبب ذلك.
3. عدم الرضا الاجتماعي الذي يعاني منه الكثير من الشباب بسبب غياب العدالة الاجتماعية أو الحقوق الأساسية يدفع بالكثير منهم إلى خلق عالم افتراضي يحققون من خلاله طموحاتهم، ويهربون من واقعهم المنبوذ إلى فضاء بديل.
4. فشل مؤسسات التنشئة الاجتماعية في إقناع جيل اليوم بالمبادئ الوضعية والأخلاق المفروضة جعلها تخسر المعركة أمام التحدّي الجديد للتكنولوجيا، وهي بذلك تسلّم الجيل الجديد للمنظومة البديلة، وليس في يدها شيء سوى محاولة مرافقة هذا الجيل بما يمكن انقاضه بدل الإصرار على معارضة هذه الموجة الجديدة التي فصلت التحدّي والمعركة مسبقا مع مؤسسات التنشئة الاجتماعية.
5. اليقين الكامل أن مستقبل البشرية ضمن مقتضيات التكنولوجيا الحديثة، ما يجعل إصرار الرافضين لهذه الأخيرة محاولة يائسة لإبقاء جيل الغد في زاوية التهميش، وهو حكم بالإعدام على مستقبل جيل كامل من المجتمع.

ت. مستقبل الأخلاق في عصر الضبابية التكنولوجية :

أصبح من السهل في عصر تكنولوجيا والاتصال الإلكتروني خلق مجتمعات سيكولوجية Psychological "Communication" تقودنا نحو عالم ما بعد الحداثة. غير أن الإنترنيت لا تمنحنا فقط أساليب مختلفة للعمل والتفكير والترفيه إنما تقدم لنا بعض الخيارات الأخلاقية أيضا وهذه الأخيرة تساعد وتتحكم في توجيه السلوك والتصرفات وهو ما يطلق على اصطلاحه بالأخلاقيات في العصر الإلكتروني Cyberethics.

إن مسألة الأخلاقيات في عصر التكنولوجيا الحديثة كانت ومازالت تمثل الرهان الأكبر في في مستقبل البشرية، ونقطة الخلاف بين مؤيدي ومعارضي هذه التكنولوجيا. فهناك من الباحثين من يرى في هذه الأخيرة خطرا كبيرا لا يجوز الاقتراب منه واعتبروا ذلك نوعا من الاستعمار الثقافي المبطّن المتخفي تحت الزخم الإلكتروني، يهدف إلى التأثير على الفكر والسلوك والمعتقد من خلال الرسائل الموجهة فيؤدي ذلك إلى التغيير في نمط حياة الفرد

وهناك من الباحثين من يرى في التكنولوجيا الحديثة تطعيما للثقافات الوطنية وتزاوجا بين الثقافات والخبرات دون أن تتعارض فيما بينها، بل هي تنوع يخدم الثقافة الانسانية على تباينها.

وبين تضارب الرأيين انبثق رأي متوازن يرى في الإنترنيت فرصة جديدة لحياة أفضل من كل النواحي، وقفزة نوعية لتسهيل متطلبات الفرد. لكن دون أن ننسى ضرورة أن يتم ذلك في إطار تبادل ثقافي متوازن، ومراعاة قيم الأفراد، واحترام أخلاقياتهم

إذا مسألة الأخلاق فرضت نفسها بإلحاح في كل نقاش حول تكنولوجيات الإعلام والانفتاح المعلوماتي، في حين يعتقد البعض أنه لا يجب الالتزام بقواعد السلوك لمجرد أنهم يمتلكون تكنولوجيا جديدة إنما على الآداب والسلوك والقيم والأخلاق أن تلحق بالتكنولوجيا وأن تتأقلم معها لأن واقع الجيل الجديد ومستلزماته تختلف عن أوضاع من سبقوهم ممن شيّدوا طابوهات الممنوعات والمباحات ومنظومة الأخلاق التي لم يعد الجيل الجديد منبهرا بها ولا ملزما باحترامها.

وإذا كانت مسألة الأخلاق من خلال التكنولوجيا الحديثة، وعبر شبكة الإنترنيت في الدول الغربية من المسائل المطروحة بشدّة رغم أن الأخلاق عندهم مسألة فضفاضة تقلّص مساحاتها ما يعرف بالحريات الشخصية والحقوق الفردية، فإن هذه المسألة يفترض أن تطرح بشكل أشدّ في الدول العربية والإسلامية التي تعطي أهمية أكبر لأنظمتها الاجتماعية والأخلاقية. غير أن ذلك لا يتم بصورة جادة، وكثيرا ما يطوى ملف الرهانات الأخلاقية دون أن يحظى بإجابات شافية خاصة إذا كان محوره الطفل والإنترنيت. فالطفل العربي نادرا ما يلمس في البرامج المحلية والعربية المعروضة عبر وسائل الإعلام نقطة الوصل بينه وبين بيئته التي يعيش فيها، فيشعر أنه غريب عن واقعه وتاريخه وتراثه العربي الإسلامي. وهذا ما يجعله يبحث عن محتويات أخرى ويسعى للتعرف عليها أكثر.

وعلى العموم سرعان ما بدأت سلوكيات الجيل الجديد تظهر عليها علامات التغير الناتج عن استخدام التكنولوجيات الجديدة، وأخذت رقعة التحول الأخلاقي تتسع من جيل لأخر بعدما أتاحت التكنولوجيا إمكانية تعرض الأسرة العربية للبث المباشر عبر الأقمار الصناعية التي تبثّ برامج وإعلانات مغايرة للثقافة العربية وقواعد السلوك والأخلاق والقيم السائدة. فقد وجدت الثقافات الأجنبية في الإنترنيت والتكنولوجيا الحديثة قناة لا مثيل لها للانتشار والتأثير دون رقابة أو عائق.

من الصعب وضع أساليب لمنع أو مواجهة هذا السيل العرم من المعلومات المتدفقة عبر مختلف التكنولوجيات، كما يستحيل إقناع من انبهر بالتقنيات الحديثة بالعدول عنها وحتى محاولة فعل ذلك يعتبر جريمة علمية لما تحتويه هذه الأخيرة من فضائل لا ينكرها سوى جاحد أو جاهل. غير أن الغرب يرى في مسألة أخلاقيات التكنولوجيا مسألة شخصية تنضوي تحت لواء التحرر من كل القيود التي يفرضها مبدأ مسؤولية الإعلام. بينما المعيار الثقافي بمفهوم الدول العربية والإسلامية تحدّه ضوابط ومعايير نابعة من مبادئ وقواعد القيم الأخلاقية المستمدّة من مبدأ مسؤولية الإعلام اتجاه المجتمع

ورغم تعدد سلبيات استخدام التكنولوجيا الحديثة التي عادة ما تظهر جليّة في سلوك الأطفال وحتى الشباب غير أن المختصين في مجال علم الاجتماع يتفقون على وجود مواطن أشدّ تأثرا وخطورة في حياة الجيل الجديد نتيجة تلقيه رسائل ومضامين مدسوسة عبر شبكة الإنترنيت خاصة ما يتعلق بالمواقع الإباحية.

فلا شكّ أن لكل تكنولوجيا تأثيرات مرغوبة وأخرى غير مرغوبة ولا تعتبر الإنترنيت بأي حال من الأحوال استثناء عن هذه القاعدة. ولعلّ أسوء هذه التأثيرات و أخطرها على المتلقي هو الانحراف الأخلاقي الذي جاء نتيجة الإباحية الإلكترونية التي تنتعش من السيولة الرهيبة والسهلة للمعلومات عبر شبكة الإنترنيت.

فقد تأجّجت مسألة الإباحية الإلكترونية عبر شبكة الإنترنيت من خلال الحرية التامة في تبادل الصور الفوتوغرافية ومقاطع الفيديو القصيرة حيث تشكلت نوادي خاصة بهذا الشأن.

وإن كان الغرب ومن بعدهم العديد من الدول العربية والاسلامية يتغاضون أحيانا عن إباحية الكبار بدعوى الحق في حماية الخصوصية، فإن ذلك لا ينطبق على الأطفال لأن براءتهم ستكون الثمن لذلك.

المراجع :

1. أحمد رمزي، تطور التقنيات من الوجود البشري إلى عصر التكنولوجيا، دار القلم، المملكة المغربية، 2015
2. عماد صبري، قرصنة الأخلاق عبر الانترنيت، جامعة تونس، 2016
3. سناء محمودي، رهانات العلاقات الاجتماعية في ظلّ التكنولوجيا الحديثة، مصر، 2017
4. Havens Lora (2016) Qualitative communication in a digital world, Faculty of Humanities, University of Irland
5. Kiven Braid, Our children and technology, Knowledge edition, Germany, 2016
6. Diames Ronald (2014) The era of Multimedia and new communication system, central Library, London

كيفية الإستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA :

د. إيكوفان شفيق (2019)، **التكنولوجيا الحديثة وأزمة العلاقات الاجتماعية** ، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية و الاجتماعية، 11 (03)/ 2019 الجزائر : جامعة قاصدي مرباح ورقلة، ص.ص (25-32)